سياسة نابليون تجاه الجزائر

استمر نابليون في فترة رئاسته للجمهورية الفرنسية الثانية (48–52) في انتهاج نفس السياسة السابقة المطبقة في مستعمرة الجزائر (في عهد لويس فيليب) حيث أعطى صلاحيات واسعة للحكام العامون بالجزائر وشجع الاستيطان ومصادرة الأراضي ، ولكنه مع بداية عهد الإمبراطورية تبنى سياسة جديدة تجاه الجزائر ،بدأها بإطلاق سراح الأمير عبد القادر وإلغاء الحكم العسكري وإنشاء وزارة الجزائر والمستعمرات في(24 جوان 1858) و التي تعاقب على رئاستها كل من جيروم بونابرت (ابن عم الإمبراطور) وشاسلو–لوبا وقد تضاعفت خلال هذه الفترة القصيرة المساحات المدينة على حساب المناطق العسكرية، وتقلص معها نفوذ المكاتب العربية(العسكرية) فاسحة المجال لما سمي بالمكاتب العربية المدنية .والتي تراجعت فيها نسبيا سيطرة العسكريين بالجزائر وحاول فيها الكولون السيطرة على إدارة الحكم بكل الوسائل و الطرق وكان الحكم فيها مدنيا في ظاهره على الأقل وقد استمرت هذه الوزارة من (1858–1860) وتحت تأثير الأمير عبد القادر و إسماعيل أوربان رأى نابليون أن يخلق مملكة عربية* ترمي إلى إحداث نوع من التحول الاجتماعي و يقوم عل سياسة الاندماج نحو العرب و المساواة في الضريبة بينهم و بين الكولون و يهدف إلى تنشيط الاستعمار من جهة والاهتمام بترقية الجزائريين من جهة أخرى وإتباع سياسة التهدئة معهم.

كانت مستعمرة الجزائر في هذه الظروف تعرف صراعا حادا بين دعاة الحكم العسكري(القادة العسكريين والمكاتب العربية).ومؤيدي الحكم المدني (الكولون) ومثلت المرحلة الأولى 1830– 1870

* المملكة العربية: هي مشروع حاول نابليون تطبيقه في الجزائر يقوم على منح الجزائر نوعًا من الاستقلال الذاتي بحيث يكون على رأسها شخصية جزائرية بارزة كالأمير عبد القادر مثلا تحكم باسم الإمبراطور، لكن معارضة الكولون و القادة العسكريين لهذا المشروع جعل مصيره الفشل في الأخير.

المحاضرة الثانية

مرحلة سيطرة العسكريين في الجزائر و بتزايد الاتهامات و الصراعات بين المدنيين و العسكريين بمستعمرة الجزائر وفشل مشروع الإمبراطور قرر نابليون زيارة الجزائر ليطلع بنفسه على حقيقة الأمور.

في سبتمبر 1860حل نابليون بالجزائر رفقه زوجته أين التقى الكولون وأستمع إليهم باهتمام كبير وكانت لديهم العديد من المطالب منها دعم استعمار الأرض وإتباع سياسة الإبعاد والتحشيد مع الجزائريين ، وظنوا أن نابليون سينفذ مطالبهم عند رجوعه كما استمع للجزائريين، وقد كان إسماعيل أوربان مستشاره مترجمه في هذه الزيارة لكن نابليون وبمجرد عودته إلى باريس ألغى وزارة الجزائر وأعاد الحكم العسكري وعين الماريشال بيليسي حاكما عسكريا عاما على الجزائر في 24 نوفمبر 1860 وقد صدم هذا القرار الكولون لكن رغم ذلك كان الحاكم العام الجديد يعاني الشيخوخة والوهن، وهذا ما مكن مساعديه من مواصلة السياسة القديمة دون عراقيل وهي بالطبع في صالح الكولون.

وفي رسالة من الإمبراطور نابليون إلى بيليسي التي وردت في جريدة (المونيتور يونيفرسال)بتاريخ 06 فيفري1863 ومما جاء فيها« تثبيت الأعراش على ملكية الأرض القديمة، كما أعلنت الجريدة على لسان الإمبراطور أن الجزائر ليست مستعمرة بالمعنى الشائع لكنها مملكة عربية وأنه إمبراطور العرب كما هو إمبراطور الفرنسيين و أن فرنسا لم تأتي للجزائر لاضطهاد أهلها ولكن لتجلب إليهم الحضارة.

القرار المشيخي: (23 ماي 1863):السيناتوس كونسالت(قانون الأرض)

هو قرار (قانون) أصدره نابليون الثالث يتكون من 37 فصل ينص في عمومه على تثبيت العرب في الأرض الباقية عندهم، وتحديد أراضي العروش، ورسم حدودها، وتقسيم كل حد إلى دواوير، ثم توزيع أرض كل دوار إلى ملكيات فردية بين سكانه .رغم أن هذا القانون جاء في ظاهره لصالح الجزائريين لأنه يمكنهم من الحصول على عقود الملكية وفق القانون الفرنسي، فانه في الواقع جاء ليشتت الملكية

الجماعية (العرش) حتي يسهل على الكولون اشتراء هذه الأراضي من أصحابها بشكل رسمي وبأسعار زهيدة . كما جاء هذا القانون من جهة أخرى ليثبت شرعية نهب واغتصاب الكولون لأراضي الأعراش قبل 1863 حيث نص القرار بأنه لا يمس شيئا مما حصل للأرض قبل صدوره(أي القرار) .لكن الظاهر أن بيليسي و معاونوه تحالفوا مع الكولون لعرقلة مشروع نابليون نحو الأهالي، مما جعل الإمبراطور يقرر عزل بيليسي لكن تدخل بعض الأطراف لصالح حاكم الجزائر وعلى رأسهم الإمبراطورة(زوجة الإمبراطور) أجل ذلك لبعض الوقت.

لم يعش بيليسي بعد هذا التاريخ طويلا حيث توفي في ماي 1864 فخلفه مارتيمبري كحاكم بالنيابة حتى 01 سبتمبر من نفس السنة تاريخ تعيين ماكماهون.

أراد نابليون الاطلاع على حقيقة الأوضاع بنفسه فزار الجزائر مرة ثانية وكانت هذه الزيارة طويلة نسبيا حيث تجاوزت الشهر من 3 ماي الى07جوان 1865 زار خلالها معظم مدن ومناطق الجزائر وكان مترجمه ومستشاره في هذه الرحلة الطويلة إسماعيل أوربان الذي قلده الإمبراطور وسام صليب الشرف نظير خدماته للإمبراطور وفرنسا .

كان ماكماهون قد أفهم الكولون أن سياسة الاستعمار لن تتغير كما وعدهم نابليون بمواصلة هذه السياسة لذلك كانوا يظنون أن الإمبراطور سيحقق مطالبهم بالاستمرار في تشجيع الاستعمار الفلاحي والتنازل عن الأراضي الأهلية وترحيل الأعراش من أراضيها وحشدها في أماكن محددة، والإسراع في تنفيذ الملكية الخاصة للأهالي لكي يتمكن الكولون من شرائها منهم بطريقه قانونيه وبأقل الأسعار.

مشروع(سياسة فرنسا في الجزائر):

مباشرة بعد عودته من الجزائر أرسل نابليون لحاكمه مكماهون رسالة في 20 جوان 1865عبارة عن كتيب يتألف من 88 صفحة عنونها ب سياسة فرنسا في الجزائر . الذي كان قد أعطاه نابليون لإسماعيل أوربان ليقرأه وينقحه وهو ما حدث بالفعل ، ورسالة نابليون هذه لا تدعو إلى حرية الجزائريين بل إلى تقدمهم في ظل الاندماج والتهدئة بالتعاون مع الأوربيين وقد أمر نابليون بأن تتبع حكومة مكماهون سياسة التعايش والتشارك مع العرب والعمل على تدريبهم وتقريبهم من القوانين الفرنسية وعلى إقناعهم بالتطور والحضارة، و معاملتهم على أنهم رعايا فرنسيون إلا إذا تخلوا عن أحوالهم الشخصية فيصبحون عندئذ مواطنين فرنسيين يتمتعون بنفس الحقوق السياسية والمدنية التي يتمتع بها الفرنسيين. كما وعد نابليون الجزائريين بفتح الوظائف المدنية لهم في الجزائر والوظائف العسكرية في كل أنحاء الإمبراطورية الفرنسية .

قانون الجنسية:

صدر في12 جويلية 1865 يعتبر من أهم القوانين الصادرة في عهد نابليون والتي سيستمر تأثيرها إلى سنة 1947 وهو ينص على كيفية حصول الجزائريين على الجنسية الفرنسية، فالقانون الفرنسي اعتبرهم مسلمون فرنسيون ما داموا محافظين على أحوالهم الشخصية وسيحتكمون في هذه الحالة إلى الشريعة الإسلامية, وبهذه الصفة يمكنهم الدخول في الخدمة العسكرية خارج الجزائر وتولي الوظائف المدنية داخل الجزائر . ولا يمكن إعطاء المواطنة الفرنسية لمن هو دون 21 سنة أو لمن تمسك بأحواله الشخصية الإسلامية،

في 21 افريل 1866 صدر مرسوم جديد يعطي حق المواطنة للمجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي ورغم ذلك لم يتعدى عدد المتجنسين بين(1865. 1870.) 371 مجنسا .